البنية القاعدية للشخصية:
(المنظور البنيوي التحليلي)

يجب التنويه بداية الى ان، بيان مفهوم البنية القاعدية للشخصية هنا، يستند أساسا إلى اعمال جون بارجوري (J. Bergeret) في إطار علم النفس المرضي التحليلي. وتتوقف صدقية اسهام بارجوري ، على مدى صدقية الطرح التحليلي العام الذي اسسه س. فرويد والافتراضات التي يقوم عليها خاصة ما تعلق بالنمو النفسي ومراحله والجهاز النفسي ومختلف المفاهيم التحليلية التي تصف العمليات التي تحدث في هذا السياق.

مفهوم البنية القاعدية للشخصية:

تُعرف البنية عند بارجوري بأنها "التنظيم العميق، المستقر، والثابت للمكونات النفسية للفرد /العناصر الميتا-نفسية (metapsychologiques)". فهي بمثابة الهيكل غير المرئي الذي يحدد كيفية تعامل الشخص مع دوافعه، واقعة، وعلاقاته. (تحدد طريقة تفاعل الفرد مع العالم الداخلي والخارجي/ تنظم الشخصية من الداخل) تماماً كالهيكل العظمي الذي يحدد شكل الجسم وتوازنه. وتظل ثابتة على مر الزمن، حتى في حالات التحولات السلوكية أو الأعراض المرضية.

اذن:

البنية القاعدية غير ملاحظة مباشرة، بل يستدل عليها من خلال التحليل الاكلينيكي / النفسي.

-تُعد أساسًا للنزوعات السلوكية، سواء كانت سوية أو مرضية.

-لا تتغير بسهولة، وتُعد نقطة الارتكاز التي تُبنى عليها الشخصية.

- **التشبيه البنيوي**: يشبه بارجوري الشخصية ببلورة من الكريستال؛ فالبنية هي الشكل الهندسي الداخلي للبلورة، وبينما قد تبدو البلورة سليمة من الخارج (حالة السواء)، فإن تعرضها لصدمة قوية سيؤدي لكسرها وفق خطوط تصدع محددة مسبقاً من خلال بنيتها الأصلية.

البنية القاعدية مقابل الشخصية الظاهرة:

البنية القاعدية تختلف عن الشخصية الظاهرة التي تتجلى في السلوكيات والسمات السطحية.

إن الشخصية الظاهرة ليست سوى الوجه الخارجي لبنية قاعدية أكثر تعقيدًا، تُكشف فقط عبر تحليل عميق للصراعات النفسية والدفاعات.

البنية القاعدية	الشخصية الظاهرة
▪ عميقة وثابتة	▪ سطحية وقابلة للتغير
▪ غير مرئية مباشرة	▪ تُرى في السلوك اليومي
▪ تُحدد الإطار العام للتفكير والشعور	▪ تُعبّر عن التكيف الاجتماعي
▪ تكشف بالتحليل النفسي	▪ تُقيّم بالملاحظة السلوكية

البنية القاعدية والاضطراب النفسي:

- السواء ليس غياب البنية، بل هو حالة من "التكيف" حيث تعمل البنية (سواء كانت عصابية أو ذهانية) بشكل متوازن دون انهيار.

-لا يُعد الاضطراب النفسي نتيجة لتغير البنية القاعدية، بل لانكسار في التوازن بين البنية والبيئة. حيث يحدث الاضطراب النفسي عندما تتعرض البنية لصدمة تفوق قدراتها الدفاعية، مما يؤدي إلى "انهيار" التوازن وظهور الأعراض.

-يمكن لشخص ذو بنية ذهانية أن يعيش بشكل "عادي" دون إصابة، طالما أن دفاعاته تُدير الصراعات الداخلية، أما عند فشل الدفاعات، فتظهر الأعراض المرضية.

"إن المرض لا يُغير من البنية القاعدية، بل يُظهر ما كانت تخفيه من صراعات وضعف في التكيف".

- البنية هي الأصل الكامن، بينما الأعراض هي مجرد تجليات ظاهرية ناتجة عن عدم قدرة هذه البنية على التكيف.

يرى بارجوري أن "الاضطراب" هو حالة "انكسار" أو "فقدان توازن" للبنية:

- ففي حالة توازن البنية أي **التعويض (Compensation)**: يمكن للشخص أن يعيش حياته كاملة ببنية "ذهانية/عصابية" لكنها معوضة/متوازنة، أي أنه ناجح اجتماعياً ومهنياً ... (توازن تعويضي داخل البنية)
- **الانهيار (Décompensation)**: عندما تتجاوز الضغوط الخارجية قدرة آليات الدفاع، تنهار البنية وتظهر الأعراض.
  - مثال: الشخص ذو البنية العصابية قد يطور "هستيريا" أو "وسواس" عند الانهيار.
  - مثال: الشخص ذو البنية الذهانية قد ينهار نحو "الفصام" أو "الهذاء".

مكونات وعناصر البنية:

تتشكل البنية من تفاعل أربعة عناصر أساسية مترابط:

- **طبيعة القلق الغالب**: يختلف نوع الخوف الأساسي باختلاف البنية (مثل قلق الخصاء أو قلق التجزؤ).
- **نمط العلاقة بالموضوع**: كيف يرتبط الفرد بالآخرين (علاقة ثلاثية(اوديبية)، ثنائية، أو اندماجية).
- **آليات الدفاع**: الوسائل التي يستخدمها الأنا لحماية نفسه (مثل الكبت، الإسقاط، أو التجزؤ).
- **تنظيم الأنا ونمو الليبيدو**: درجة نضج الجهاز النفسي ونقاط التثبيت.

مراحل تشكل البنية:

تمر الشخصية بمراحل تطورية حتى تصل إلى استقرار بنيوي نهائي في نهاية المراهقة:

- **الطفولة المبكرة**: مرحلة من عدم التمايز، حيث تبدأ أولى بذور البنية بالظهور بناءً على الإحباطات والاشباعات الأولى. تتميز بالسيولة، حيث تكون الاحتمالات مفتوحة.
- **مرحلة الكمون**: فترة استقرار نسبي للمكاسب النفسية.
- **المراهقة**: هي المرحلة الحاسمة التي يتم فيها "التبلور" النهائي للبنية. وبمجرد أن تكتمل البنية وتتصلب في نهاية مرحلة المراهقة، فإنها تصبح ثابتة ولا يمكن للفرد الانتقال من بنية إلى أخرى (مثلاً من بنية عصابية إلى بنية ذهانية).

أنواع البنى القاعدية والتنظيمات:

يصنف بارجوري أنواع البنى الشخصية إلى خطين بنيويين أساسيين ومنطقة وسيطة:

نوع التنظيم	الخصائص الأساسية
البنية العصابية(Névrotique)	تتميز بصراع بين "الأنا" و"الهو" تحت إشراف "الأنا الأعلى". القلق السائد هو **قلق الخصاء** .العلاقة بالموضوع هي **علاقة ثلاثية** (أوديبية) ...الدفاع الأساسي يتمثل في الكبت .وتضم: (البنية الهستيرية، البنية الوسواسية).

نوع التنظيم	الخصائص الأساسية
البنية الذهانية(Psychotique)	تتميز بصراع بين "الأنا" والواقع. القلق السائد هو **قلق التفتت** أو الفناء .العلاقة بالموضوع هي **علاقة اندماجية** حيث لا يوجد تمايز بين الذات والآخر. الدفاعات الأساسية تشمل الانكار...تشمل: (البنية الفصامية، البنية الهذائية).
الحالات الحدية(États-limites)	ليست بنية ثابتة بل **تنظيم وسيط** (أو لا بنية) .تتميز بـ **قلق الفقدان** (الاكتئاب) والاعتمادية الشديدة على الآخر (العلاقة الاتكالية).الدفاع تشمل انقسام المواضيع ، الاستبعاد ...

أمثلة:

- **مثال على الحالة الحدية**: شخص يعاني من أزمات رهاب الخلاء وفقدان الاستقرار النفسي بمجرد غياب زوجته التي تلعب دور "الأم الحامية"؛ يظهر هذا المثال ضعف الأنا وغياب التنظيم الثلاثي (الأوديبي) لصالح علاقة اتكالية.
- شخص لديه **بنية وسواسية** قد يكون موظفاً ناجحاً، دقيقاً، ومنظماً جداً (حالة سواء) ، إذا تعرض هذا الشخص لضغوط هائلة، قد "تتفكك" هذه البنية ليظهر لديه **اضطراب الوسواس القهري**.
- **مثال على البنية الذهانية**: حالة الشخص الذي لا يستطيع التمييز بين رغباته الداخلية والواقع الخارجي، مما يؤدي به إلى "الهلوسة" كوسيلة لإعادة بناء عالم خاص به يتناسب مع دوافعه.

المراجع :

Bergeret, J (2008)Psychologie pathologique : théorique et clinique, Paris : Dunod.

Bergeret, J (1985) La personnalité normale et pathologique ,Paris :Dunod .